

نور علی حافة القطار

"رحیق بنفسج"
أمنية يحيى

قصة قصيرة



نور علي حافة القطار

أمنية يحيى

«رحيق البنفسج»

غلاف خارجي: مريم السيد

داخلي وتنسيق: رحاب جمال

عمل فريق جروب حكايات بنات أفكاري

https://www.facebook.com/groups/BanatAfkare/?ref=share_group_link

صفحة الكاتبة على الفيسبوك

<https://www.facebook.com/profile.php?id=100089883139194&mibextid=ZbWKwL>

أطلقت ساقها للريح وهي تركض، وقد بلغ الخوف
منها مبلغه عليها الهرب والتخفي فقد يمسك بها بائع
الخبز في أية لحظة، ألقت بنفسها داخل القطار بدون
تفكير، جلست أرضاً تلتقط أنفاسها بصعوبة،
أسندت ظهرها المتعب إلى أحد المقاعد، وهي تحاول
عبثاً تنظيم أنفاسها، انتهت إلى نظرات الجميع إليها،
التي تباينت ما بين نظرات شفقة ونظرات اشمئزاز،
ألقت نظرة خجلة على ملابسها المتسخة المهترئة
مسحت بكفيها الخشنتين على وجهها المغبر وشعرها
الأشعث، التقت ذلك الخبز الساخن بنهم، قاومت
دمعة حارة تأبى إلا أن تشعل لهيب الغضب والحزن
في نفسها، نظرت بحقد لتلك الفتاة المدللة التي
تقاربها في العمر لكنها تحظى بدلال أبويها على عكسها
تماماً، فهي فقد كبرت لتعلم أنها لقيطة، وجدها
أحدهم بالقرب من أحد المساجد، هكذا أخبروها في

دار الأيتام، التي هربت منها، نفضت رأسها وكأنها تأبى
 عودة الذكريات إلى عقلها، عادت بنظرها لتلك الفتاة
 رمقتها بفضول من رأسها حتى أخمص قدميها، كانت
 طفلة طويلة ترتدي ثوبا ناصع البياض، وقد ازدان
 بتلك الزهور المنقوشة بعناية، يزين رأسها قبعة
 شتوية تقي رأسها وأذنيها من برد الشتاء القارص،
 تتدلى ضفيريها المصففتان بعناية من تحت القبعة،
 وقد التمعت عيناها بالحب والأمان، رمقتها من جديد
 وقد نهشت الغيرة قلبها، حين وقع بصرها على قدمي
 الفتاة المدثرتين بذلك الحذاء الشتوي، رغما عنها
 عادت ببصرها إلى قدميها الباردتين الحافيتين إلا من
 شراب مهترئ قديم مليء بالثقوب.

انتزعها من عقد تلك المقارنة ذلك الصوت البغيض
 الذي تحفظه عن ظهر قلب، وكأنما قساوة العالم
 أجمع قد اجتمعت في ذلك الرجل محصل التذاكر.

انكشيت في نفسها وقد ضمت جسدها الضئيل
بذراعيها النحيلتين، تنشد أمانا لم تعرفه يوما وقد
تسارعت دقات قلبها بشدة كلما اقترب من مكانها،
حاولت التسلل من بين أقدام الركاب، لكنه التقطها
بعينيه الحادتين كصقر جارح، حدجها بنظراته
الغاضبة المشمئة منها دوما. أمسكها من تلايب ثيابها
المهترئة، وظل يقذفها بأقذع السباب، وحينما تدخل
بعض الركاب متعاطفين مع فتاة القطار الفقيرة
أخرسهم بكلماته اللاذعة، صابا عليها كل غضبه،
نزلت كلماته اللاذعة على أذنيها كسياط تجلد قلبها
الغض، حاول البعض انتزاعها منه محاولا إثارة بعض
الشفقة بداخل قلبه، لكنه أسكتهم بكلمة واحدة
نزلت كالسيف عليها فكانما شطرت روحها إلى أجزاء.
زمجرقائلا:

- إليكم عني فأنا أعرفها جيدا إنها ابنة حرام _ لقيطة

لا أصل لها ولا نسب.

تحولت نظرات الشفقة التي رمقها بها البعض إلى
بغض ونفور ألقى بها أرضا وهو ينفذ يديه وكأنما
دنسته بثيابها أو بأصلها المجهول، أخفضت رأسها
بخجل وسارت من بينهم تلملم شتات روحها وهي
تتمنى أن تتوارى عن الأنظار المحدقة بها، نزلت من
القطار تجر أذيال الخيبة والألم.

ظلت تجر ساقها المتعبتين وتسير بلا هدف، إلى أن
رأت من بعيد مسجدا، حثت الخطى إليه عليها تجد
مكانا تمكث فيه ليلتها بأمان، دخلت المسجد تنشد
راحة وأمان، شعرت بالطمأنينة حين وجدت مصلى
السيدات فارغا، انكشيت على نفسها ونامت بعمق
كما لم تنم من قبل، انتفضت فزعة حين شعرت بيد
تداعب شعرها الأشعث تسارعت دقات قلبها، ترددت
قبل أن تفتح عينيها ثم حسمت أمرها أخيرا، وإذا بها

ترى سيدة مسنة يبدو عليها الوقار، ترتدي ثياب
الأطباء يزين وجهها حجاب أنيق رمقتها بحنان ثم
قالت بهدوء:

- لقد أصبت بالحمى فأحضرك إلى هنا إمام المسجد،
ما هو اسمك يا جميلة؟

انتابتها قشعريرة حين فوجئت بسؤالها الذي طالما
هربت منه، اشتعل صراع بداخلها هل تخبرها
بالحقيقة فتتفر منها هي أيضا، أم تحيك كذبة
تخرجها من ذلك المأذق؟

شعرت بتردها فقالت بحنان:

- لا بأس أحاول مساعدتك يا بُنيّتي، حسنا أخبريني
أين هو منزلك لأوصلك إلى أهلك؟
ثم أردفت بتوضيح:

- لا بد أنهم قلقون عليك الآن.

رددت كلماتها على لسانها بغير إرادة منها:

- أهل.. منزل.. قلقهم علي!

لم تستطع أسردموعها أكثر من ذلك يا الله لا زالت

صغيرة لتتعرض لكل تلك الضغوط نطقت بألم:

- ما ذنبي أنا حتى أتحمل إثم لم أرتكبه!؟

نفضت دموعها وهزت رأسها يمناً ويسرة وهي تحاول

النهوض لكن الطبيبة هدأتها قائلة:

- حسنا حسنا اهدأي يا فتاة لن أسألك الآن لكن

عليك الاسترخاء فذلك المغذي المتصل بوريدك لم

ينته بعد، كما أن حرارتك لازالت مرتفعة.

ثم همّت بالنهوض وتركها لكن الفتاة لا تدري كيف

واتتها الشجاعة لتمسك بكفها الناعم بيدها الحرة

وهي تقول بتقرير:

- حسنا سأخبرك بقصتي.

أومات برأسها أن نعم وجلست ثانية لتستمع إليها
قالت الفتاة:

- أنا فتاة في التاسعة من عمري أطلقوا علي اسم نور،
نشأت في دار للأيتام، لم أعرف الراحة أو الأمان، لم
أذق للحنان والحب طعما في حياتي، في الدار كانت
حياتي تشبه حياة السندريلا، كما رأيتم خلسة في
تليفزيون الدار. غير أن مديرة الدار كانت تمنع عنا كل
التبرعات من ملابس ومأكل، وتقوم ببيعهم وتوزيع
النقود على العاملين لديها، كانت تعاملنا أسوأ من
الحيوانات، تركت الدار بحثا عن مأوى وحياة كريمة،
لكنني اصطدمت بواقع مرير. كلما اختبأت تحت
كوبري أو خلف أحد الأسوار أتعرض لشتى أنواع
العذاب. حاولت العمل بمسح السيارات أو الأحذية أو
بيع المناديل الورقية، لكنني كنت أتعرض للسرقة
وينتهي بي المقام خالية الوفاض. ظللت أتنقل بين

عربات القطار، أحاول البحث عن كسرة خبز جافة
أسد بها جوعي، أو شربة ماء نظيفة لكن ذلك الرجل
محصل التذاكر دائما ما كان يمسك بي ويهددني بالزج
بي في قسم الشرطة، آخر مرة كنت ألهث وأجري لأنني
سرق رغيف خبز ساخن ولما رأني الخباز جرى خلفي
بكل قوته، فألقيت بنفسي داخل القطار كالمعتاد،
لكنني نزلت منه هنا في تلك البلدة فأتيت إلى المسجد
كي تحميني جدرانها من الجميع.

أنهت كلماتها ثم تطلعت إليها بحذر فإذا بها قد انهمرت
دموعها، شفقة عليها فأخذتها بين ذراعيها، تساءلت
الفتاة في نفسها هل هذا هو الشعور بالدفء الذي
طالما سمعت عنه؟! شعرت بصدق مشاعرها
تساقطت دموع الطيبة الساخنة على وجنتيها.

ربتت على ذراعيها بحنان وقالت:

- حسنا أنا أيضا وحيدة هل تقبلين العيش معي؟

لوهلة ظنتها تمزح أو تسخر منها لكن نظرة عينها
وتهدج صوتها أشعراها بصدقها.

ذهبت معها غمرتها بحبها ازدادت ثقتهما بها فأخبرتها
أيضا بحكايتها وكيف لم يرضَ أهل زوجها من إحدى
مدن الصعيد بزواجها من ابنهم معللين رفضهم
بكونها _ بنت بحراوية _ كما يقولون، رفضوا ارتباط
زوجها بها الذي شاركها سنوات دراسة الطب،
فتزوجها سرا وأخفى الأمر عنهم، وحينما علم بحملها
فرح وظن أن هذا سيجعله يحصل على صك الرضا
والقبول بزوجه منهم، لكنه حين زارهم بطفله
الوليدة لم يرَ منهم غير العناد والبغض بل ازداد
ظلمهم لهما بأن اختطفوا منهم طفلتهم الوليدة
وقاموا بقتلها دون رحمة.

انهمرت دموع الطيبة حنان وهي تخبرها كيف أُسقط
في قلب زوجها ومات، حسرة على ابنته وعادت هي

أدراجها إلى الإسكندرية تجر أذيال القهر والحزن.
ضمتمها إليها وهي تقول بصدق:

- ربما كنتِ أنتِ العِوض من الله ليربط على قلبي
المكلوم.

لم تصدق أذنيها حين أخبرتها الطيبة حنان بالقبض
على مديرة دار الأيتام، والتحفظ على أموالها، ذهبت
نور معها إلى هناك لتدلي بشهادتها، وهناك تفاجئت
من معرفة الضابط بها وبحكايتها، أخبرها أنه تم
القبض على اللص الذي استأجره أهل زوجها لسرقة
ابنتها وقتلها، أغمضت عينيها بألم وهي تسترجع تلك
الذكرى المريرة، مرت أيام ثقال لم تذق فيها كلتنا
طعما للنوم.

ارتفع رنين هاتفها رفعته بسرعة إلى أذنيها وقد تهللت
أساريرها أخيرا وهي تتمتم بكلمات الحمد والشكر لله

ضممتها بين ذراعيها وهي تقول:

- الآن صرنا أسرة واحدة وقد أتممت كل الإجراءات
القانونية لتكوني في كفالتي، وأخيرا حلّق في سماء
حياتها الأمان والسعادة.